مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 17 العدد: 02 السنة 2025 ص 55 - 70

تاريخ الإرسال: 2023/06/12 تاريخ القبول: 2025/10/13
تاريخ النشر: 2025/11/30

تطور الخلاف الفكري بين القادرية والتجانية في غرب إفريقيا إلى صراع عسكري خلال القرن 19 الميلادي

The Ideological Disagreement between the Qādirīyya and Tijānīyya in West Africa developed into a Military Conflict during the nineteenth century

جعفري محمد، د. عبو الطاهر
مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا(الجزائر)-dja.mohammed@univ-adrar.edu.dz
جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، tahar.abbou@univ-adrar.edu.dz

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على موضوع هام في تاريخ غرب إفريقيا المعاصر، لم يلق القدر الكافي من الدراسة، تتناول إشكالية الموضوع تحول الخلاف الفقهي بين الطريقتين القادرية والتجانية في غرب إفريقيا خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي إلى صراع عسكري طال أمده، حيث تسببت عدة عوامل داخلية وخارجية في هذا التحول، كما يهدف الموضوع إلى الوقوف عند أدلة كل من الطرفين، والرسائل المتبادلة بينهما.

وخلص البحث في النهاية إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن المنطقة عرفت رقيا وتطورا علميا مشهودا بفضل الطريقتين القادرية والتجانية، وأن هذا الخلاف والصراع ترك تراثاً وأثاراً علمية كبيرة من خلال الكم الهائل من الرسائل التي تبادلها

الطرفان، رغم بعض الأثار السلبية التي جرها على المنطقة، حيث لم يحافظ على سلميته لمدة طويلة. ولولا هذا الصراع الذي تزامن مع تغلغل الاستعمار الأوروبي في غرب إفريقيا، لتغير مجرى التاريخ ولكان للمنطقة شأن أخر.

الكلمات المفتاحية: القادرية، التجانية، غرب إفريقيا، أحمد البكاي، الحاج عمر.

Abstract:

This research paper aims to shed light on a topic that marked the contemporary West African history, that is, the shift of the ideological disagreements between the Qādirīyya and Tijānīyya brotherhoods during the thirteenth century AH to military clashes. The research examines the internal and external factors of this shift from peaceful exchange of letters between the two Sufi brotherhoods to military actions. It also explores the arguments of each of the two parties through a sample of the letters that were exchanged between them. The research came out with some findings, the most important of which is that this conflict left a great scientific heritage represented in the important number of letters exchanged between the Qādirīyya and Tijānīyya brotherhoods. However, the disagreement had some negative effects on the region after it turned into a military conflict. The research also concluded that the region knew significant progress and remarkable scientific development during that period. If had it not been for the conflict that coincided with the penetration of the Europeans in West Africa, the course of history would have changed, and the region would have had another matter.

Keywords: Qādirīyyah, Tijānīyyah, West Africa, Ahmed al-Bakkāy, al-Hajj Umar.

المؤلف المرسل: جعفري محمد، الإيميل: dja.mohammed@univ-adrar.edu.dz

1.مقدمة:

عرفت منطقة غرب إفريقيا مع بداية القرن الحادي عشر الهجري السادس عشر ميلادي وصول الطريقة القادرية على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وبانتشارها ساهمت مساهمة فعالة في انتشار الإسلام لبساطة أورادها وأخلاق أتباعها، ومع بداية القرن التاسع عشر ميلادي تسربت الطريقة التجانية إلى المنطقة عن طريق شنقيط، والتي اعتبرت نفسها مجددة لتعاليم الإسلام الذي لم يبق منه إلا الاسم، فاختلفت الطريقتان في الكثير من الأفكار سواء الفقهية أو الصوفية.

ومن هنا كان لابد من طرح الإشكالية التالية، لماذا تحول الخلاف الفكري السلمي بين الطريقتين القادرية والتجانية في غرب إفريقيا إلى صراع عسكري دموي؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية: كيف انتشرت الطريقتين القادرية والتجانية في غرب إفريقيا؟ ماهي أبرز الخلافات الفكرية بين الطريقتين؟ وما هي وقائع الصراع بين الطريقتين؟

وانطلاقا مما سبق ونظرا لطبيعة الموضوع فقد كان المنهج التاريخي أولى لمعالجة هذا الموضوع، مع الاستعانة بالتحليل لدراسة الرسائل والمؤلفات ومحاولة فهم الأبعاد الحقيقية للصراع. وتبقى هذه الرسائل والنوازل الفقهية مادة خاماً في حاجة لكثير من الدراسة، للوقوف على المستوى العلمي والفكري الذي ساد غرب إفريقيا قبيل الاستعمار الأوروبي.

2. الطريقة القادرية وانتشارها في غرب إفريقيا:

1.2 نشأة القادرية وانتشارها:

تنسب الطريقة القادرية إلى مؤسسها عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني أو الغيلاني دفين بغداد 561هـ/1166م. [1]لُقب بالجيلاني نسبة إلى جبل أوجلاني قرب بغداد، ولما شرب من علوم عصره، أعتزل الناس ما يقرب من خمس وعشرين

سنة في صحراء العراق، ليعود بعدها لنشر العلم وتكوين التلاميذ ومن هنا بدأت تظهر معالم طريقته القادرية.[2]

انتشرت الطريقة القادرية بداية انتشاراً واسعاً في المشرق، أما في غرب إفريقيا فلم تدخلها إلا في القرن السادس عشر عن طريق منطقة توات، وكانت ولاته المركز الأول لاستقرار الطريقة قبل أن تتحول إلى مدينة تمبكتو حيث تولاها آل كنته، ومما سهل انتشارها اهتمام اتباع الطريقة وحرصهم على تعليم الصبية، وبناء المدارس، واتجاه بعض القادريين لكتابة التعاويذ والتمائم، [3]وهذا ما يتناسب مع طبيعة الأفارقة الذين تعودوا على أعمال السحر. ومن أبرز شيوخ هذه الطريقة في غرب إفريقيا أحمد البكاي الكنتي.

2.2 الشيخ أحمد البكاي:

ولد الشيخ أحمد البكاي في إحدى ضواحي تمبكتو سنة1803م من أسرة علمية عريقة، فهو حفيد الشيخ المختار الكبير[4] وابن محمد الخليفة الكنتي[5] من عائلة توارثت سجادة الطريقة القادرية أباً عن جد. تربى الشيخ البكاي وتلقى علومه في أحضان عائلته، واشتهر بمساعيه في الصلح والوساطة بين القبائل المتخاصمة في الصحراء، ولم يثنه هذا كله عن التدريس والتأليف واستقبال الضيوف، فقد ترك إرثاً هائلاً من الرسائل والقصائد والمؤلفات.[6]وقد عرفت القادرية انتشاراً وامتداداً في عهد الشيخ أحمد لما اتسمت به أورادها من سهولة وقبولها لقرع الطبول مما صادف هوىً متجذراً في نفوس الأفارقة. فشملت الطريقة بهذا منطقة فوتا تور(السنغال) وفوتا جالون (غينيا) وإمارة ماسينا (مالي) ودولة صوكوتو (شمال نيجيريا) ومملكة برنو(التشاد).[7]

3. الطريقة التجانية وانتشارها في غرب إفريقيا:

1.3نشأة التجانية وتطورها:

تنسب الطريقة التجانية إلى مؤسسها الشيخ أحمد التجاني، وهو أبو العباس أحمد بن محمد التجاني وليد عين ماضي 1737م ودفين فاس1815م. لُقب بالتجاني نسبة إلى أخواله، فأمه من بين توجين أو تجانة.[8] نشأ الشيخ أحمد في بيت علم وصلاح حيث تلقى تعليمه الأول على يد أبيه وأعمامه، وأما الفقه فعلى يد المبروك بن عافية الماضوي.[9]وكانت رحلته للحجاز لتأدية مناسك الحج من أبرز الاحداث في حياته الشخصية، حيث التقى فيها بالعديد من العلماء وعلى رأسهم محمد بن عبد الكريم السمان.[10]كما جالس التجاني علماء مكة واشتهر بينهم، لتضلعه في شتى العلوم.[11]وقد انطلقت الدعوة إلى التجانية من بوسمغون بتوزيع الأوراد على الأتباع والمحبين.[12] أما اليوم فهي منتشرة في كل قارات العالم بعد تأسيس الرابطة التجانية.[13]ويرجع الفضل الأكبر في انتشار الطريقة في غرب إفريقيا إلى الحاج عمر الفوتي وبعده للشيخين: إبراهيم نياس والحاج مالك سي اللذان عملا على إتمام المهمة، ببناء الزوايا وجلب الأتباع للطريقة.[14]

2.3الحاج عمر الفوتي:

ولد الحاج عمر سنة 1794م، على اختلاف بين المؤرخين في عام ولادته.[15] واسمه الكامل بعد تعريبه هو عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي، التوري، القيديوي نسبة إلى منطقة قيدي Guédé وهي مقاطعة بشمال السنغال[16]، وبها تلقى تعليمه الأول على يد والده وأعمامه، لينتقل بعدها للمناطق المجاورة للنهل من العلوم المختلفة. كان لرحلة عمر الفوتي للحج سنة1826 والمحطات التي توقف بها الأثر الكبير في تكوين شخصيته، فقبل عودته إلى فوتا جالون استفاد من تدريب سياسي وعسكري بمجالسته لأمير صوكوتو محمد بلو ومصاهرته له، كما شارك في جهاد الوثنيين.[17] ومع مرور الأيام توافد الناس على الحاج عمر من طلبة ومحبين، فاتخذ مدينة دنجواري (Dinguiray) مقره الروحي والعسكري،[18] ليشرع منها في نشر

العقيدة الصحيحة وتجديد الإسلام الذي اندثرت معالمه في المنطقة على حسب رأيه وكذا محاربة الوثنيين، وذلك من خلال نشر الطريقة التجانية. لكن ما أثار قلق الحاج عمر هو بداية التوغل الفرنسي في هذه المنطقة، لهذا عمل من البداية على التخطيط للحد من هذا الزحف الاستعماري.

4.الخلاف الفـــــكري والمراسلات بين الطريقتين القادرية والتجانية:

1.4الخلاف الفكري:

لعل أهم ما يستوقف الباحث هنا هو المرجعية المذهبية المالكية السائدة في غرب إفريقيا، فلم هذا الاختلاف؟ والحقيقة أن مَرَد ما وقع بين الطريقتين القادرية والتجانية راجع إلى الاختلاف في فهم النصوص. ومن بين أكثر النوازل التي سال حولها الكثير من الحبر نازلة الجهاد، فالتجانيون يرون أن أتباع الطريقة القادرية تساهلوا وتسامحوا في جهاد الوثنيين وهذا ما جعل الدعوة الإسلامية لم تؤت ثمارها،[19] ورأوا أن إنقاذ الوثنيين من الضلال واجب،[20] كما أن التحالف مع الوثنيين لقتال المسلمين حرام عقلاً وشرعاً، ومن هذا المنطلق حكم الحاج عمر على أهل ماسينا بالكفر حين تحالفوا مع مملكة سيغو الوثنية. وقد برر الشيخ أحمد بن أحمد لبو القادري[21] هذا التحالف بأن أهل سيغو تحت بيعته، في حين يرى التجانيون أن الشريعة لا تبيح للوثنيين إلا التخيير: إما الإسلام أو الحرب.[22]

واختلف القادريون والتجانيون في أحكام أهل الذمة واستضافتهم وتأمينهم، فالشيخ أحمد البكاي استضاف عدداً من الأوروبيين وآمّنهم، وأشهرهم المستكشف هنري بإرث، فقد أرسل رسالة مطولة إلى أحمد الأمير أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد لبو الفلاني في رمضان سنة 1854 م، يوضح فيها هذه المسألة بالتفصيل[23]. ومن المسائل الفقهية أيضا، وجوب السدل وقراءة البسملة والجهر بها في الصلوات الجهرية عند التجانيين، رغم أن الكراهة مشهورة عند المالكيين، ومن ذلك قول ابن

ابي زيد القيرواني في رسالته: "لا تستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم في أم القرءان ولا في السورة التي بعدها"[24].

ولم يقتصر الخلاف بين الطريقتين القادرية والتجانية على القضايا الفقهية بل تعداه إلى بعض الاعتقادات لعل أبرزها: اعتقاد التجانيين أن الاولياء يستمدون الأسرار من الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة الشيخ أحمد التجاني خاتم الأولياء، وهذا ما يسمى بالكتمان.[25] وأيضا هناك مسالة تفضيل الذكر على القرءان، فقد ألف المفضل بن عزوز المكناسي رسالة مطولة يرد فيها عن هذه المسألة سماها (كشف الران عن فؤاد مانع الزيارة ومدعي تفضيل الوظيفة على القرءان).

مع بداية انتشار الطريقة التجانية في المنطقة أنكر الشيخ المختار الكبير على اتباع هذه الفرقة كثرة تصديقهم وعدم استعمال عقلهم،[26] ومن أهم ما أنكره عليهم الادعاء بفتح أبواب الرزق والبركات على كل من انتسب إلى الطريقة التجانية. وقد ذكر الشيخ البكاي في رسالته التي بعث بها إلى أتباعه من أهل مراكش ينبههم أن هذا الادعاء حيلة من أجل جلب الأنصار والاتباع لا أكثر.[27]وأورد في رسالته أن الشيخ أحمد التجاني (مرابط صالح) لكنه ليس شيخ تربية، وليس له طريقة معينة نظرا لعدم وجود السند، ويضيف قائلاً:" وما أردت بهذا تنقيصه، فإني لا أنتقص منتسبا إلى الله تعالى ولو كان كاذبا."[28] في حين أن التجانيون مجمعون على أن الشيخ سيد أحمد التجاني قد تلقى الورد مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم بمنطقة بوسمغون سنة 1196هـ الموافق 1782م.

ومن المسائل التي وقع فيها الخلاف مسألة أتباع التجانيين لشيخهم دون غيره، والادعاء بأن لا مثيل له بين الأشياخ، مع أنهم يعترفون بأن الشيخ الجيلاني هو سلطان الاولياء (الشيخ الكامل والقطب الشامل)،فقد أثنى صاحب جوهر المعاني

وهو المصدر الأول عند جميع التجانيين عن الشيخ الجيلاني[29] كما ينكر التجانيون تعدد المشايخ والطرق للشخص الواحد، مع أن الشيخ أحمد التجاني نفسه انتسب لعدة طرق في وقت واحد، فقد أخذ الطريقة القادرية، الطيبية، المدنية، الخلوتية، الرحمانية والناصرية.[30]ولم يقتصر الخلاف على المسائل الفقهية بل تعداه إلى قضايا المعتقدات الصوفية والتي وقع حولها خلاف حاد بين الطريقتين، ومن ذلك مسألة رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة عند التجانيين، وحضوره مجالس الصلاة عليه بحضور روحه وأرواح الخلفاء خاصة عند قراءة جوهرة الكمال. وقد رد على التجانيين أديبج القادري بأبيات في هذه المسألة منكراً عليهم:

وإنه يزور أهل الجوهرة بروحه إذ هي دين أظهره.
وأنه يحضر في رجال عند ابتداء جوهرة الخبال.[31]

2.4 المراسلات بين علماء وزعماء الطـــريقتين:

تعددت الرسائل بين القادريين والتجانيين وما يميز معظم الرسائل هو طولها وأساليبها البليغة مع كثرة الشواهد من القرآن والسنة والإجماع، ومن أبرزها رسالة أبو العباس أحمد بن محمد بن العباس العلوي التجاني الشنقيطي إلى الفقيه الكنسوسي بالمغرب الأقصى، يذكر فيها فضل الحاج عمر وعلمه ويُبرر أسباب رضوخه للقتال وتسامحه مع الاسرى المسلمين.[32]ومنها أيضا: رسالة الشيخ أحمد البكاي إلى أهل مراكش وخص بها مجموعة من الفقهاء أهمهم: الفقيه الصوفي الحاج محمد بن أحمد الصحراوي، إمام الزاوية مولاي المدني العلوي الشريف، مقدم الزاوية المختارية الحاج محمد عمور، الفقيه السيد عبد الخالق الدباغ، الفقيه السيد عبد السلام بن طاهر، الفقيه سيدي عبد الله الديماني، نقيب الشرفاء مولاي عبد الكبير بن مولاي الطايع، والتي تضمنت القدح في الطريقة التجانية وإظهار عيوبها لكن بأسلوب ذكي يبرهن على حنكة صاحبها وديبلوماسيته، وقد رد الشيخ محمد

أكنسوس[33] على الشيخ البكاي برسالته(الجواب المسكت على من تكلم في طريق الإمام التجاني بلا تثبت). فصّل فيها أهم المسائل الخلافية مثل عدم جواز استبدال شيخ بأخر وذكر فضل الشيخ التجاني الخاتم كما برر الرقصات والشطحات لاتباع الطريقة. وقد رد الشيخ البكاي بجواب عن هذه الرسالة الطويلة سماه (الفتح القدوس في الجواب على أبي عبد الله أكنسوس).[34]

وتآليف التجانيين في الرد على الشيخ البكاي والانتصار للشيخ أحمد التجاني نظما ونثرا أكثر من أن تعد أو تحصى، وهي لوحدها تحتاج موضوعا خاصا. ولعل من أبرزها: (الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التجاني سيف الانكار) و(الجيش الكبير في الرد على جموع النكير) لمحمد بن محمد الصغير. وكتاب (الغضب اليماني في الرد عن شيخنا سيدي أحمد التجاني) لأحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي. وكتاب (درء النبهاني عن حرم شيخنا سيدي أحمد التجاني) لأحمد الأمين الشنقيطي كما يوجد مؤلف (الدر المنظوم في نصرة القطب المكتوم) لصاحبه محمد كنون.[35]

5.الصراع العسكري بين القادريين والتجانيين:

1.5أسباب الصراع القادري التجاني:

اختلف المؤرخون في تحديد أسباب هذا الصراع بين الأشقاء الصوفيين، ما بين أسباب سياسية، شخصية ودينية[36]، إلا أن إمعان النظر يجعلنا نُلخصها في اشتداد الخلاف الفقهي والصوفي السابق الذكر بين الفريقين، والخلاف بين القديم والجديد بين الاصالة والمعاصرة، إضافة إلى محاولة كل طريقة الانتشار والحصول على المزيد من الاتباع، وقد ذكر الدكتور عبد القادر زبادية في رسالته أن أحد التجانيين الذين كانوا يعيشون في دولة ماسينا كتب قصيدة أظهر فيها ما يعانيه التجانيون في هذه الدولة من ضغوطات واحتقار، وأنهم يتوقون بحرارة إلى تحريرهم من هذا

الوضع.[37] وهذا ما كان متناسبا مع طموحات الحاج عمر الذي كانت له رؤية بعيدة ومشروع تكوين إمبراطورية تجانية، ولم يكن عنده مانع في استخدام القوة من أجل تحقيق أهدافه، كما أن بداية التوسع الأوروبي في المنطقة بالسيطرة على الطرق التجارية أثر في اشتعال هذه الحرب حيث ضيق على الحاج عمر المساحة، مما جعله يحاول توسيع مملكته على حساب الممالك المجاورة. وقد عمل الأوربيون من البداية على إضعاف قوى الطرق الصوفية حتى لا تتّـــــقوى ضدهم بالتضامن. وخلاصة القول، إن الباحث في قضية الصراعات سيدرك لامحالة أنه دوما توجد أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة، ولهذا فالخلاف بين الطريقتين القادرية والتجانية سواء في القضايا الفقهية أو الصوفية مازال قائما إلى يوم الناس هذا، لكن لماذا تحول هذا الخلاف بين الطريقتين إلى صراع عسكري في منطقة غرب إفريقيا؟ هذا ما يدعو إلى البحث في الأسباب العميقة والكامنة وراء هذا الصراع.

2.5 بداية الصراع العسكري بين القادريين والتجانيين وتطوره:

لم يتوقع الكثيرون أن الأمور ستنحى هذا المنحى، فقد بدأ النزاع والحرب الفعلية بين الحاج عمر التجاني وأحمدو شيخو بن أحمدو الفولاني القادري حين شرع الحاج عمر في التوسع نحو الشرق ومهاجمة إمارة سيغو الوثنية،[38] مما جعل أحمدو شيخو يرسل قوات بقيادة عمه بالوبو لمساندة سيغو، وفي نفس الوقت أرسل الشيخ البكاي إلى البمبرا يعرض عليهم مساعدته.[39] إلا أن الحاج عمر تمكن من هزيمتهم في معركة تيو(Tio) 1861م، وبناء على ذلك تبدأ حلقة جديدة من الصراع حين قرر الحاج عمر مهاجمة مملكة ماسينا المسلمة. ورغم أن الشيخ أحمدو أرسل خمس رسائل للحاج عمر ليثـــــنيه عن عزمه، إلا أن الحاج عمر لم يقتنع بكلامه وحججه، وقرر محاربة ماسينا بدعوى أن الوثنية مازالت منتشرة فيها، واكثر من هذا

معاقبتهم على تحالفهم مع مملكة سيغو الوثنية،[40] كما كان يرى أيضا أن أتباع الطريقة القادرية لم يكونوا في مستوى حمل راية الاسلام بالشكل المطلوب.[41]

ومع مرور الأيام ازدادت حدة الصراع، وأمام هذا الوضع لم يكن أمام ملك ماسينا من خيار سوى اللجوء إلى حليفه القادري أحمد البكاي لدعمه، وهذا الأخير كان في انتظار هذه الفرصة. وفي العاشر من أبريل 1962م اصطدم الجيشان قرب نهر باني، ورغم أن قوات ماسينا كانت ضِعف جيش الحاج عمر إلا أنه استطاع هزيمتهم في الأخير وتمكن من القبض على ملكهم أحمدو الثالث وإعدامه، بينما فر أخو الملك وعمه بالوبو لتمبكتو.[42]

وهذا الانتصار الكبير على مملكة ماسينا فتح شهية الحاج عمر للتوسع أكثر، وعليه فقد أورد بول مارتي في كتابه (كنته الشرقيون) أن الشيخ أحمد البكاي بعث برسالة مطولة لتهنئة الحاج عمر على الانتصار وأرفق معها قصيدة في مدح الحاج عمر وعلمه الغزير وأكثر من هذا وصفه ب (مجدد الإسلام)[43] كما مدح في رسالته الطريقة التجانية وأورادها، لكن الحاج عمر لم يقتنع بكل هذه الرسائل، ورد برسالة قصيرة بواسطة محمد عثمان من أهم ما تضمنته " إنه من غير المعقول أن يكون شخص واحد محط المديح والذم في آن واحد".[44] وطلب محمد عثمان في آخر الرسالة من الشيخ البكاي أن يحضر للقاء الحاج عمر في حمدالله[45]، إن كان صادقاً في دعواه. ولم يكن الشيخ البكاي بالغر، فقد سابق الزمن بجمع جيش كبير من الطوارق والبرابيش وأولاد هند وأولاد العوافي من كنته إضافة الى البربر وعسكر بهم خارج تمبكتو، تحسباً للتطورات اللاحقة.[46]

لم يتوصل الطرفان إلى حل وسط يحقن دماء المسلمين، فكان أول لقاء بين الجيشين العمري والبكائي في فبراير 1863م، أين دارت معركة شرسة استعملت فيها الوسائل الحربية الحديثة، والتي سبق للحاج عمر الحصول عليها من التجار

الإنجليز في الساحل.[47]انتهت معركة ماني ماني بهزيمة الحاج عمر وتراجعه إلى مدينة حمد الله ليعيد الكرة مرة أخرى في كوناري شهر أبريل من نفس العام لكن كانت النتيجة نفسها، انهزام الجيش التجاني،[48] وفقدانه لقائدين من أعظم قادته ألفا عمر تييرنو بايلا، وألفا عثمان على التوالي، مما اضطر الحاج عمر إلى العودة إلى حمد الله، أمام هذا التراجع استغل الشيخ البكاي ثورة أهل حمد الله على الحاج عمر فقام بمحاصرتها[49]من شهر أوت 1863 إلى شهر فبراير 1864.[50] ورغم أن الحاج عمر استطاع اختراق هذا الحصار مع جماعة من جيشه إلا أن القوات القادرية تعقبته مما جعله يلجأ في الأخير إلى مغارة، فقاموا بمحاصرته وأشعلوا النيران في المغارة مما سبب موت الحاج عمر ومن معه اختناقا بالدخان، وذلك في فبراير سنة 1864م.[51] وبعد وفاته تولى التجاني ابن أخيه القيادة، وخاض عدة معارك ضد الشيخ البكاي الذي مات بعد غريمه بسنة واحدة، حيث وافته المنية في فبراير 1865 في قرية صغيرة تدعى ساردينا على مقربة من نهر النيجر.[52]

6.خاتمة:

وخلاصة القول لما سلف يمكن القول أن الإسلام انتشر في غرب إفريقيا بطرق عديدة أهمها مناهج الطرق الصوفية وأخلاق مشايخها وأتباعها في معاملتهم للسكان المحليين، ورغم التشابه بين الطرق الصوفية في كثير من الأوراد والطقوس إلا أن الاختلاف والخلاف في بعض المسائل وقع، وكانت لهذا الصراع انعكاسات سلبية أبرزها تسهيل الغزو الأوروبي والاثار البشرية من الضحايا وما تبعها من خسائر مالية واجتماعية أكبر من أن تحصى. أما الاثار الإيجابية لتلك الخلافات فإن المنطقة عاشت رقياً علمياً من خلال تلك المؤلفات والمناظرات والمراسلات بين العلماء والزعماء، وهذا ما يدحض افتراءات وادعاءات الأوربيون حول تخلف المنطقة وتأخرها الحضاري قبل قدومهم. ودور الأوروبيين في إشعال نار الفتنة واذكائها بين

الطرق الصوفية لمنع اتحادها لا يمكن إنكاره. وإذا سلمنا بدور الصراعات والحروب في الضعف والانحطاط غالباً، فإن الصراع بين الطريقتين القادرية والتجانية كان محدوداً زمنياً ومكانياً.

وفي الأخير يبقى موضوع الخلاف والصراع بين الطرق الصوفية من المواضيع التي تحتاج إلى المزيد من الدراسة، خصوصا تلك الرسائل والمؤلفات التي تعد بحق إرثاً علمياً ثميناً يحتاج إلى تمحيص وتنقيح، والوقوف عندها سواء من حيث الأسلوب أو اللغة التي كتبت بها أو من حيث محتواها كوثائق ومصادر للكتابة التاريخية.

المصادر والمراجع:

1 سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998، ص 42.

2 عمر هلال: الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص117.

3 أحمد شلبي: الموسوعة التاريخية، م6، مكتبة النهضة العربية، مصر، ط5، 1990، ص212.

4 المختار الكبير: ولد سنة 1730 بأوغال الازواد، أمتاز بالذكاء والحفظ، فألت له قيادة القادرية، ترك الكثير من الكتب في شتى الفنون العلمية كما ترك العديد منن التلاميذ، توفي بمنطقة بولنوار حوالي 1811م. محمد الصالح حوتيه: ال كنته، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008، ص230.ينظر أيضا أحمد الحمدي: الريادة العلمية والمشيخة الصوفية بأزواد، دار قوافل، موريتانيا، 2017.

5 محمد الخليفة بن المختار الكنتي: الابن الخامس للشيخ المختار وخليفته في زعامة كنته والطريقة القادرية، ولد بالأزواد سنة1765م اشتهر بمسالمته وديبلوماسيته كما ترك أثارا علمية ضخمة أهمها ((الطرائف والتلائد في كرامة الشيخين الوالدة والوالد) توفي سنة1826، ودفن بجانب والده. محمد الصالح حوتيه: المرجع السابق، ص ص 234-235.

6 نفسه: ص235.

7 عمر عبد الماجد: "التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر"، مجلة دراسات إفريقية، العدد 48، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، 2012، ص168.

8 أحمد الأزمي: الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، ص46.

9 علي حرازم بن العربي براده: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيوض سيدي أبي العباس التجاني، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997، ص23.

10 نفسه: ص38.

11 عمر هلال: المرجع السابق، ص121.

12 علي حرازم: المصدر السابق، ص40.

13 Zachary Valentine: The Tijaniyya in North Africa in the eighteenth-century Muslim world, the University of North Carolina, USA, 2020, p. 08.

14 شيخ لعرج: "موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19 وبداية القرن 20"، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الاثار،2016–2017، ص26.

15 هناك اختلاف في سنة ولادة الحاج عمر1794، 1795 أو1797م ينظر الحافظ التجاني: الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية بغرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته، مكتبة الإسكندرية، مصر، ص5

16 B. G. Martin: Muslim Brotherhoods in Nineteenth-Century Africa, Cambridge University Press, 1976, P. 68

17 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، 1989، ص66.

18 نفسه: ص68.

19 محمد الحافظ التجاني: المصدر السابق، ص5.

20 أحمد شلبي: المرجع السابق، ص214.

21 أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمدو لبو: آخر أمراء ماسينا حكم من(1852–1862) حكم في ظروف صعبة حيث دخلت البلاد في حروب مع التجانيين بقيادة الحاج عمر الفوتي الذي دخل العاصمة حمد الله، وقتل ملكها سنة1862.مهدي رزق الله: حركة التجارة

والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1998، ص558.

22 الحافظ التجاني: المصدر السابق، ص 4.

23 ينظر أحمد البكاي: جواب أحمد البكاي إلى أحمد بن أحمدو لبو، المكتبة الوطنية، مالي، arabe 6756.

24 عبد الله بن أبي زيد القيرواني: الرسالة في فقه الامام مالك، تح: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، لبنان، ص21.

25 الهادي هارون: "الطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا ودورها الحضاري من القرن 16 م الى 19م"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، 2015-2016، ص100.

26 نفسه: ص98.

27 مبارك جعفري: الأزواد خلال القرن 13هـ /19 م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2021، ص96.

28 أحمد الأزمي: المرجع السابق، ج 3، ص140.

29 علي حرازم: المصدر السابق، ص35.

30 سعد الله أبو القاسم: المرجع السابق، ص192.

31 الهادي هارون: المرجع السابق، ص102.

32 الحافظ التجاني: المصدر السابق، ص ص19،18.

33 محمد أكنسوس: ولد بالمغرب الأقصى سنة1797م، وتعلم بها ثم انتقل إلى تونس، تولى عدة مناصب في عهد السلطان مولاي سليمان أهمها كاتبا ثم وزيرا، مات ودفن بمراكش 1877م. ينظر محمد الصالح حوتيه، المرجع السابق، ص247.

34 الهادي هارون: المرجع السابق، ص101

35 أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص132.

36 Hamadou Boly: "le soufisme au Mali de19 siècle a nos jours", thèse doctorat dirigé par Geoffrey Eric, école doctoral des humanités, université de Strasbourg, France, 2013, p 75.

37 Abdelkader Zebadia: The career and correspondence of Ahmed Al-Bakkay of Timbuctu, thesis doctora, school of Oriental and African studies, university of London, 1974, p 398.

38عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص76.

39 مريم. لي تال: "ماسينا وامبراطورية التوردبه (تكرور) حتى عام1878"، تاريخ إفريقيا العام، م 6، اليونسكو، 1996، ص699.

40 عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص76.

41 J. D. Fage: A History of West Africa, Cambridge University Press, 1969, P.156.

42 عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص77.

43 بول مارتي: كنته الشرقيون، تر، محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، سوريا، 1985، ص104.

44 نفسه: ص104.

45 عمر عبد الماجد: المرجع السابق، ص181.

46 نفسه: ص182.

47 في جي دي: تاريخ غرب افريقيا، تر، يوسف نصر، دار المعارف، مصر، 1982، ص299.

48 تشير روايات أخرى إلى انتصار الحاج عمر ودخوله تمبكتو. ينظر دي في جي: المرجع السابق، ص300.

49 مريم. لي تال: المرجع السابق، ص699.

50 B. G. Martin: Op. Cit, P.97.

51 عمر عبد الماجد: المرجع السابق، ص183.

52 مريم. لي تال: نفس المرجع، ص699.